الجَامِعُ
في أَحكَامِ وَآدَابِ الصِّبيان

كِتابُ العِلمِ

جمع وترتيب

أبي عبد الله عادل بن عبد الله آل حمدان الغامدي

عفا الله عنه



باب وصايا الأُمراء والآباء لمربي الأبناء





١ وصيّة عُمير بن حبيب رضي الله عنه

٢٧٦ عن أبي جعفر الخَطمي أن عُميرَ بن حبيبٍ كان له مولًى يُعلّم بنيه القُرآن والكِتاب، فجعل يذاكرهم النّساء، والدُّنيا.

فقال له: يا زياد، لقد ظلَّلتَ على بَنِيَّ قُبَّة الشَّيطان، اكشطوها.

[رواه ابن أبي شيبة (١٧٤٣٦)]

قلت: **فكيف بمن يدعو لتعليم الأطفال كيف تُجامع النِّساء، وذلك استجابة لدعوات الكفار في إفسادِ الصِّغار بعد إفساد الكبار؟!**





وَصِيَّة عُتبة بن أبي سُفيان (٤٤هـ)

٢٧٧ عن سعدٍ قال: أوصى عُتبة بن أبي سفيان (٤٤هـ) عبد الصمد مُؤدّب ولدهِ فقال:

ليكُن أوَّلَ إصلاحك بَنِيَّ إصلاحُ نفسك.

فإن عُيونَهم مَعقودة بعيبك.

فالحسنُ عِندهم ما فعلتَ.

والقَبيحُ ما تركتَ.

علّمهم كِتابَ اللَّهِ.

ولا تُمِلَّهم فيكرهوا، ولا تَدَعهم منه فيهجروا.

وروِّهم من الحديثِ أشرَفَهُ،

ومِن الشِّعرِ أعفَّه،

ولا تُخرجهم من بَابٍ مِن العِلمِ إلى غيرِهِ حتى يُحكِمُوه؛

فإن ازدحامَ الكَلامِ في السَّمعِ مَضلة للفَهم.

تَهدَّدهُم بِي.

وأدِّبْهم دُوني.

وكُن لهم كالطَّبيبِ الرَّفيق الذي لا يعجل بالدَّواءِ حتى يَعرِف الدَّاء.

وامنعهم من مُحادَثَةِ النِّساءِ.

وأشغلهم بسِيَرِ الحُكماءِ.

[وعلِّمهم سِيَرَ الحُكماء، وأخلاقَ الأُدباءِ]

واستزدني بآدابهم، أَزِدْكَ.

ولا تَتَّكِلَنَّ على عُذرٍ منِّي، فقد اتَّكلتُ على كِفايةٍ منك.

[ابن أبي الدنيا في «العيال» (٣٤١)، و«عيون الأخبار» لابن قُتيبة (١/٥٦٣)، و«تاريخ دمشق» (٣٨/٢٧١ ـ ٢٧٢) ولفظ التوكل غيره أولى منه مثل: لا تركننَّ]





٣
وصيّة مُعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما (٦٠هـ)

٢٧٨ عن ابن بُريدةَ أن مُعاوية (٦٠هـ) رضي الله عنه أرسلَ إلى دَغفل بن حنظلة فسأله عن العربيّةِ، وعن أنسابِ العربِ، وسألَهُ عن النُّجومِ.

فإذا رَجُلٌ عالِمٌ.

قال: يا دَغفلُ، مِن أين حَفِظتَ هذا؟!

قال: بلسانٍ سَؤولٍ، وقَلبٍ عَقولٍ.

وإنّ آفةَ العلمِ النِّسيان.

قال: فاذهب بيزيدَ فعلِّمهُ.

العربيّةَ،

وأنسابَ قُريشٍ،

والنُّجومَ،

وأنسابَ النَّاسِ،

[«العيال» ابن أبي الدنيا (٣٤٩)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٣٦/٤) (٤٢٠١)، و«تهذيب الكمال» (٤٨٩/٨)]

قلت: والضَّابط في تعليم النُّجوم فقط ما يُعرف به الطُّرُق والأوقات. كما قال تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾ [النّحل: ١٦].



٢٧٩ كان لشُرَيح القاضي (٧٨هـ) ابنٌ يَدَع الكُتَّابَ ويذهبُ يلعبُ مع الصِّبيان والكلابِ؛ يهارش بها.

فدعا شُريحٌ بدوَاةٍ وصحيفةٍ فكتبَ إلى مُؤدِّبه:

ترك الصلاةَ لأَكْلُبٍ يَسعى لها ... طلب الهِرَاش مع الغواةِ الرُّجَّسِ
فإذا أتاك فعضه بِمَلامَةٍ ... وعظه موعظة الأديب الأكيس
وإذا هممت بضربه فبِدِرَّةٍ ... وإذا ضربت بها ثلاثًا فاحبسِ
واعلَم بأنّك ما أتيتَ فنفسه ... مع ما يُجرِّعُني أعَزُّ الأنفُسِ

قال: وأخبرني غيره أن شُريحًا كتب بهذه الأبيات مع الصبيّ إلى المعلّم.

فضربه المعلّم شيئًا.

فقال له شريح: كم فعلت؟

فقال: ثلاثٌ لأمرك.

وثلاثٌ لحملهِ صحيفة لا يدري ما فيها!

[«العيال» (١٥٨)، و«أخبار القضاة» لوكيع (٢/٢٠٨)، و«الحلية» (٤/١٣٧) و«تاريخ دمشق» (٢٣/٥٠ـ٥١)]

[قوله: (طلب الهراش): المهارشة بالكلاب وهو تحريش بعضها على بعض والتهريش: التحريش].

٥

وصيّة عبد الملك بن مروان (٨٦هـ)

٢٨٠ عن الشَّعبي (١٠٤هـ) رَحِمَهُ اللهُ قال: كتب عبد الملك بن مروان (٨٦هـ) إلى الحجّاج بن يوسف: انظر لي رَجُلًا قِبلَكَ جامعًا لأمر الدين والدُّنيا، فاحمله إليّ ليؤدِّبَ ولدي.

فأرسل إليّ الحجّاج أن أمير المؤمنين عبد الملك كتبَ إليّ أن أنظُرَ له رَجُلًا جَامِعًا لأمرِ الدِّين والدُّنيا، فأبعثه إليه ليؤدِّب ولَدَهُ، فتهيَّأ حتّى أحملك إليه، فتهيّأتُ وحملني، فَسِرتُ حتّى انتهيت إلى باب عبد الملك، فأُعلِمَ بمكاني، فأذنَ لي فدخلت، فسلَّمت، فصَعَّدَ فيَّ بصرَهُ وصوَّبَ،

وقال: إنك لضئيلٌ،

قلت: أصلح الله الأمير، إني زُوحمت. ـ وكان الشَّعبِيّ توأمًا ـ، ثُمّ أنشأتُ مُتمثلًا:

لسانُ الفتى نصفٌ ونصف فؤادُهُ ... فلم يبقَ إلا صورةُ اللحم والدَّم
وكائن ترى من ساكتٍ لك مُعجِبٍ ... زيادته أو نقصه في التَّكلُّمِ

فأمرني فجلست، ثم قال: يا شعبيُّ، احفظ عنّي سِتَّ خصالٍ وشأنك وولَدِي:

علِّمهم صِدقَ الحديث كما تُعلِّمُهُم القرآن،

وعلِّمهم الشِّعر ينجُدُوا، وينجبُوا، [ويمجدوا]

وضَفِّر رؤوسهم تشددَّ رقابُهم،

وفي لفظ: [وجُزَّ (وحسِّن) شعورهم؛ تغلُظ رقابهم]

وأطعمهم اللَّحم تصِحَّ عقولُهم، وفي لفظ: [تشتدُّ قلوبُهم]

وجالس بهم عِليةَ الرجالِ، [يناقضونهم (يُناطِقونهم) الكلام]؛

فإن عِلية الرِّجالِ خيارُهم.

[«الأدب المفرد» البخاري (٨٧٣)، «العيال» لابن أبي الدنيا (٣٣٨) (١/٥١٢)، و«مكارم الأخلاق» للخرائطي (٧٧٨)، و«التمهيد في معرفة التجويد» للعطار (٤١٤)]

٢٨١ عن المدائني قال: قال عبد الملك بن مروان لمؤدِّبِ ولدِهِ:

علِّمهُم الصِّدقَ كما تُعلِّمُهُم القُرآنَ.

[وجالس بهم العُلماء والأشراف.

فإنّهم أحسنُ شيءٍ أدبًا، وأسوأُ شيء رغبةً]

وجنبهم السَّفلةَ.

فإنّهم أسوأ النَّاسِ رِعة، وفي لفظٍ: [أسوأ الناس رغبةً في الخيرِ]، وأقلّهم أدبًا.

وجنبهم الحشم؛ فإنّهم لهم مَفسدة.

وأحفِ [وحسِّن] شُعورَهم، تغلُظ رقابُهم.

وأطعِمهم اللّحم، يَقوُوا ويشجَعُوا.

وعلِّمهم [ورَوِّهم] الشِّعرَ، يَمجُدوا ويَنجُدوا.

ومُرْهم أن يستاكوا عرضًا.

ويمصُّوا الماء مصًّا، ولا يعُبُّوا عبًّا، [فإن العبَّ يُورِثُ الكُباد].

وإذا احتجتَ أن تَتناولَهم بأَدبٍ؛

فليكُن ذلك في سِرٍّ لا يعلمُ به أحدٌ من الغاشيةِ فيهونوا عليهم.

[ابن أبي الدنيا في «العيال» (٣٣٩)، والزيادات له، والدينوري في «المجالسة» (١٧٦٦)، و«تاريخ دمشق» (٣٧/ ١٤٧ ـ ١٤٨)]

[قوله: (جنبهم الحشم): حشم الرجل خدمه. «الصحاح» (ص٢٣٨).
قوله: (ولا يعُبُّو عبًّا): العبّ: شُربُ الماء من غير مَصٍّ. «العين» (ص٥٩١)] [(الكُباد): داء يُصيب الكبد «العين» (ص٨٢٩)].

٢٨٢ قال رُومَان مؤدِّبُ ولد عبد الملك: كتبَ إليّ عبد الملك بكلماتٍ يأمُرني أن آخذَ بِهنّ ولدَه فقال:

مُرْهم بإحراز ما أقبلَ قبل إدبارِهِ.

والتّعزِّي عن المُدبِرِ بعد تعذيره.

وكِتمانِ ما في الأنفسِ دون الخُلْصَان.

ومؤازرة الثِّقةِ من الإخوانِ.

وتوقّع انتقاض الإخوانِ.

وقلّة التَّعجُّبِ من غَدرِ الخِلَّان.

[«تاريخ دمشق» (١٨/ ٢٥٥)]

٢٨٣ قال إسماعيل بن عُبيدالله: قال لي عبد الملك بن مروان:

لا تُطعِم ولدي السَّمن.

ولا تُطعِمْهم طعامًا حتى تُخرجهم على البَرازِ.

وعلِّمْهم الصِّدقَ كما تُعلّمهم القُرآنَ.

وجنِّبهم الكَذِبَ، وإن كان فيه القتلُ.

[«تاريخ دمشق» (٣٧/ ١٤٧)]

٢٨٤ قال ابن حبيب: قال عبد الملك لمؤدّبِ ولده:

إذا رَوَّيتهم شعرًا؛

فلا تُرَوِّهم إلا مثل قول العجير السّلولي:

يَبينُ الجارُ حين يبين عنّي ... ولم تأنسْ إليّ كلابُ جاري
وتظعن جارتي مِن جنب بيتي ... ولم تستر بسترٍ من جداري
وتأمن أن أُطالِعَ حين آتي ... عليها وهي واضعة الخمارِ
كذلك هدي آبائي قديمًا ... توارثه النِّجارُ عن النّجار
فهديي هديهم وهم افْتَلَوْني ... كما افتُلِيَ العتيقُ من المِهار

[«الأغاني» (١٣/٨١)]

٢٨٥ عن عليّ بن أبي جملة قال: كان سُليمانُ بن سعدٍ يُؤدِّبُ الوليدَ وسُليمانَ.

فقال له عبد الملك: يا سُليمان، لا تضرِبْ وُجوهَ بَنِيَّ.

ـ وكان في خُلُقِ سُليمان شِدَّة ـ

[ابن أبي الدنيا في «العيال» (٣٤٧)]





٦
وصية الحجاج بن يوسف (٩٥هـ)

٢٨٦ قال الحجاج (٩٥هـ) لمؤدب ولده:

علِّمهم السِّباحة قبل الكِتابة.

فإنّهم يَجدُون من يكتُبُ عنهم، ولا يَجِدون من يَسْبَحُ عنهم!

[«عيون الأخبار» (١/٥٦٣)]





٧
وصية الوليدِ بن عبد الملك (٩٦هـ)

٢٨٧ عن مروان بن أبي شجاع قال:

كان إبراهيمُ بن أبي عَبلةَ يُؤدِّبُ وَلدَ الوليدِ بن عبد الملك (٩٦هـ).

فخرجَ عليه الوليدُ يومًا، وقد حملَ جاريةً على ظهرِ غُلامٍ، وهو يَضربُها.

فقال له: مَهْ يا إبراهيم؛

فإنّ الجوَارِي لا يُضرَبنَ على أعجازِهِنَّ؛

ولكن عليكَ بالقَدَمِ، والكَفِّ.

[ابن أبي الدنيا في «العيال» (٣٤٨)]



٨

وصيّة عُمر بن عبد العزيز (١٠١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ

٢٨٨ عن أبي جعفر الأموي عُمر بن عبد الله قال:

كَتبَ عُمر بن عبد العزيز (١٠١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ إلى مؤدِّبِ ولدِهِ:

من عبد الله عُمر أمير المؤمنين إلى سَهل مولاه:

أما بعد.

فإني اخترتك على عِلمٍ مِنّي لتأديبِ ولدِي.

وصرفتهم إليك عن غيرِك من مواليّ وذوي الخاصّةِ بي.

فخذهم بالجفاءِ؛ فهو أمكنُ لأقدامهم.

وترك الصُّبحة؛ فإن عادتها تُكسِب الغفلة.

وكثرة الضَّحكِ؛ فإنّ كَثرته تُميت القلبَ.

وليكن أوّلَ ما يعتقدون من أدبك:

بُغضُ الملاهي التي بدؤوها من الشّيطان، وعاقبتها سخطُ الرَّحمٰنِ.

فإنّه بلغني عن الثِّقاتِ من حملةِ العلم:

أن حضورَ المعازفِ، واستماعَ الأغاني، واللّهجَ بهما:

يُنبت النّفاقَ في القلبِ كما يُنبتُ الماءُ العُشبَ.

ولعمري، لتوقي ذلك بترك حضورِ تلك المواطنِ أيسرُ على ذوي الذِّهنِ من الثّبوتِ على النِّفاقِ في قلبِهِ، وهو حين يُفارقها لا يعتقد مما سمعت أذناه على شيءٍ ينتفعُ به.

وليفتح كُلّ غُلامٍ منهم بِجُزئِهِ من القُرآنِ يثبت في قراءتِه.

فإذا فرغَ منه تناولَ قوسَه وكنانتَه،

وخرج إلى الغَرَضِ حافيًا، فرمى سبعةَ أرشاقٍ،

ثم انصرفَ إلى القائِلةِ؛

فإن ابن مسعود ﷺ كان يقول:

يا بَنِيّ، قِيلوا؛ فإنّ الشّياطين لا تقيل.

والسَّلام.

[ابن أبي الدنيا كما في «ذم الملاهي» (٥١)]

[الغريب: (قوله: ترك الصبحة): أي النوم في الصُّبح، ومما ورد فيه:

ـ قال الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢٠٤٧): حدثنا أحمد نا محمد بن أحمد بن النضر قال: سمعت ابن الأعرابي يقول: مرَّ عبد الله بن العباس ﷺ بالفضل ابنه وهو نائم نومة الضُّحى، فَرَكَلَهُ برجلِهِ، وقال له: قُم إنّك لنَائم السّاعة التي يقسم الله فيها الرِّزقَ لعبادِهِ، أما سمعت ما قالت العرب فيها؟

قال: وما قالت العرب فيها يا أبت؟

قال: زعمت أنّها مكسلة مهرمة منسأة للحاجة.

ثم قال: يا بُنَيّ نوم النَّهارِ على ثلاثة: نوم حُمق، وهي نومة الضُّحى.

ونومة الخُلق وهي التي روي: قيلوا فإن الشّياطين لا تقيل.

ونومة الخُرقِ وهي نومة بعد العصر، لا ينامها إلا سكران أو مجنون.

«وأخرج سفيان بن عيينة في «جامعه» من حديث خوات بن جُبير رضي الله عنه موقوفًا قال: نوم أوّل النهار خُرق، وأوسطه خلق، وآخره حُمق. سنده صحيح»

قاله ابن حجر في «شرح الصحيح»: (١١/ ٧٠).

وقد ذكر أهل العلم مضار نوم الصبحة أول النهار، كما قال ابن مُفلح في «الآداب الشرعية» (١٤٨/٣): فنوم الصُبحة مضر جدًا بالبدن؛ لأنه يُرخيه، ويفسد العضلات التي ينبغي تحليلها بالرِّياضةِ، فتحدث تكسُّرًا وعناءً وضعفًا، وإن كان قبل البراز والرياضة وإشغال المعدة بشيء فهو الدّاء العُضال المولد لأنواع من الأدواء. اهـ.

ـ قوله: (والغرض): الهدف الذي يُرمى فيه. «الصحاح» (ص٧٧١).

ـ قوله: (ثم انصرف إلى القائلة): القيلولة عند العرب والمقيل: الاستراحة نصف النّهارِ إذا اشتد الحرّ، وإن لم يكن مع ذلك نوم. «تهذيب اللغة» (٢٣٣/٩).

ـ وأثر ابن مسعود رضي الله عنه الذي ذكره: (يا بَنِيّ، قِيلوا؛ فإنّ الشَّياطين لا تقيل). لم أقف عليه عن ابن مسعود رضي الله عنه؛

لكن روى نحوه الطبراني في «الأوسط» (٢٨) عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا، وفي سنده كثير بن مروان وهو متروك. «شرح الصحيح» لابن حجر (١١/ ٧٠) «مجمع الزوائد» (١١٢/٨).

وروى ابن ماجه (١٦٩٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «استعينوا بطعام السَّحر على صيام النَهار، وبالقيلولة على قيام الليل». وإسناده ضعيف.

«شرح الصحيح» (١١/ ٧٠)، و«مصباح الزجاجة» (٦١٩).

لكن روي في القيلولة عن عمر رضي الله عنه.

أخرجه «محمد بن نصر» كما في «كشف الخفاء» (١٣١/١) من حديث

مُجاهد قال: بلغ عمر أن عاملًا له لا يقيل، فكتب إليه: أما بعد، فقل، فإنّ الشَّيطان لا يقيل.

ـ قال ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١٤٦/٣):

قال الخلال: (استحباب القائلة نصف النهار).

قال عبد الله بن أحمد: كان أبي ينام نصف النهار شتاءً كان أو صيفًا، لا يدعها، ويأخذني بها، ويقول: قال عمر بن الخطاب ﷺ: قيلوا فإن الشياطين لا تقيل]

٢٨٩ عن مُثّى بن عمران الزُّبيدي قال:

كتبَ عُمر بن عبد العزيز ينهى المعلِّمين أن يحملوا الصِّبيان على الدَّوابِّ إذا حذقوا.

[ابن أبي الدنيا في «العيال» (٣٥١)]

٢٩٠ عن إبراهيم بن أبي عبلة قال:

كان عُمر بن عبد العزيز يكتبُ إلى الأمصار:

لا يقرن المعلِّمُ فوقَ ثلاثٍ فإنَّها مخافةٌ للغلام.

[ابن أبي الدنيا في «العيال» (٣٥٢)]

[وقوله لا يقرن: يعني لا يضرب].





وصيّة مَسلمة بن عبد الملك (١٢١هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ

٢٩١ قال الحسينُ بن عبد الرحمٰن:

أوصَى مسلَمةُ بنُ عبدِ الملك (١٢١هـ) مُؤدِّبَ وَلَدِهِ، فقال له:

إنّي قد وصلتُ جناحكَ بعضدي.

ورضيتُ بك قرينًا لولدي.

فأحسِنْ سياستَهُم؛ تدُمْ لك استقامتُهُم.

وأسهلْ بهم في التَّأدِيبِ عن مذاهبِ العُنفِ.

وعلِّمهُم مَعروفَ الكلامِ.

وجنِّبْهُم مُثاقبة اللِّئام.

وانْهَهُم أن يُعرفوا بما لم يعرفوا.

وكُن لهم سَائِسًا شفِيقًا، ومُؤدِّبًا رفِيقًا.

تكسِبْكَ الشَّفقةُ منهم: المحبةَ، والرِّفقَ، وحُسنَ القَبولِ، ومحمودَ المَغَبَّةِ.

ويمنحْكَ ما أدّى من أثرِكَ عليهم وحُسن تأديبك لهم مِنِّي:

جَمِيلُ الرَّأي، وفاضِل الإحسَانِ، وَلطيف العِنَايَةِ.

[«العيال» (٥١٨/١) (٣٤٢)]

٢٩٢ عن مُحاربٍ قال: قال مَسلمةُ بن عبد الملكِ لحاضنِ بنيهِ:

رَوِّ بَنِيَّ الشِّعرَ

فإنّه صلةٌ في عُقولِهم، وطُولٌ في ألسِنَتِهم، وهوَ أجودُ لَهم.

[ابن أبي الدنيا في «العيال» (٥١٩/١) (٣٤٣)]





وصيّة هشام بن عبد الملك (١٢٥هـ)

٢٩٣ عن هِشام بن عبد الملك (١٢٥هـ) أنه قال لِمُؤدِّبِ وَلَدِهِ:

إذا سمعتَ مِنهُ الكَلمةَ العَوراءَ في المجلسِ بين جماعةٍ فلا تؤنِّبه لتُخجِلَه.

وعسى أن يَنصُرَ خَطَأهُ فيكون نَصرُهُ للخَطأِ أقبح من ابتدائِهِ بِهِ.

ولكن احفظْها عليه، فَإذَا خَلا فَرُدَّه عَنها.

[«الأذكياء» (ص٣٦)]

٢٩٤ قال العباس بن هشام عن أبيه قال:

أرسلَ هِشام بن عبد الملك إلى سُليمان الكَلبِيِّ، ـ وكان رَجُلًا جامعًا للأدَبِ، فاضِلًا، ذا رَأيٍ ـ.

قال سُليمانُ: فدخلتُ عليه وهو في غُرفةٍ لهُ، وقد عَلا نَفسِي، وانتفخَ سَحرِي.

فسلَّمتُ عليه، فردَّ، وأضربَ عنِّي حتَّى سَكَنَ جَأشِي.

ثم قال: بلغني عنكَ ما أُحِبُّ.

وإذا بلغنِي عن أحدٍ مثل الذي بلغنِي عنك من رغبتِي أسرعتُ إليهِ بما أُحبّ، واستعنتُ بهِ على مهمِّ أموري.

وإنّ محمدَ ابن أميرِ المؤمنينَ منِّي بالمكانِ الذي قد بَلغكَ، وهو ما بين عينَيَّ.

وأنا أرجو أن يبلغ الله ﷻ بهِ أفضل ما بلغ بأحدٍ مِن أهلِ بيتهِ.

وقد وَلَّاكَ أميرُ المؤمنين تأديبَهُ، وتعليمَهُ، والنَّظرَ فيما يصلح اللَّهُ ﷻ به أمرَهَ.

عليك بتقوى اللَّهِ،

وأداءِ الأمانة فيه بِخصالٍ لو لم يكن إلا واحدةٌ كنتَ حقيقًا أن لا تُضيِّعها.

فكيف إذا اجتمعت!

أمَّا أولُها: **فإنَّكَ مُؤتَمَنٌ عليه، فحقٌّ عليكَ أداء الأمانةِ.**

فأمّا الثَّانية: **فأنا إمامٌ ترجُوني وتَخافُني.**

وأمّا الثَّالثة: **فكلّما ارْتَقَى الإمام في الأُمورِ دَرَجَةً، ارتقيتَ معه.**

ففي هذا ما يُرغِّبُك فيما أُوصِيكَ به.

فأدخِلْ عليه في خاصّيته أهلَ القُرآنِ والفضلِ، وذوي الأسنَانِ.

فإنّك منهم بين خصلتين:

إمّا أن تسمعَ منهم كَلامًا حَسَنًا فتعيهِ وتحفظَهُ، فيكونَ لك صيتهُ، أو ذِكرُهُ.

وإمّا أن يَراهُم النّاسُ يَخرجون من عِندِهِ، فيرونَ أنّكم على مثلِ ما هُم عليه.

ولا تُدخِل عليهِ الفُسَّاقَ،

ولا شرَبَةَ السُّكرِ؛

فإنَّكَ منهم بينَ خصلتين:

إمّا أن يسمعَ منهم كلامًا قَبيحًا فيأخذَ به؛ وتريدَ تَحويلَهُ عنهُ فلا تقدِر عليهِ.

وإمّا أن يراهُم النّاسُ يَخرجون من عندكم فيرَون أنّكم على مثلِ رأيهم.

وانظر إذا سمعتَ مِنه الكلمةَ العَوراءَ، ولا تؤنِّبْه بها فيتمحَّك.

ولكن احفظْها عليه.

فإذا قامَ من مجلسهِ، فانقلهُ إلى ما هو أحسنُ منها.

وإذا سمعتَ مِنهُ الكلمةَ المُعجمةَ؛

ففطِنِ القومَ لها عسى أن لا يكونوا فهمُوها،

وفهِمْتها أنت لاهتمامك بها، حتى يقومُوا وقد سمعوا منه كلامًا حَسنًا يَروونه عنه ويُريقُونَه عنه.

وإذا حضرَ النّاسُ أبوابَكم، فعجِّلُوا أدَمَهُم، وليَحسُن يُسركم بهم.

وأطيبوا للنّاسِ طعامَكم.

فإذا فرغوا من الغَداءِ والعَشاءِ؛ فمن أحبَّ أقام للحديثِ من قِبَلِ نفسهِ.

ومن أحبَّ انصرف إلى أهله؛ فإنّ للنّاسِ حوائج غير زيارتِكم.

وإذا أعطيتم فأعطوا أهلَ القُرآنِ، وحملةَ العِلم، وأهل الفضلِ؛

فإنّكم تُؤجرون على تقويتهم، ويَحمدُكم النّاسُ على عطيتهم.

ولا تُعطوا الفُسَّاقَ، ولا شربَةَ الخمرِ؛

فإنّكم تأثَمون على تقويتِهم، ويَلومكم النّاسُ على عطيَّتهم.

إلا أن تكونوا في سببِ نَجدَةٍ، أو وسيلةٍ تكونُ لأحدهم يقضي ذِمَامَهُ.

وابسطوا أيديكم بالفضلِ، ووجوهكم بالبشْرِ؛ فإنّكم مُلوكٌ، والنّاس سُوقَةٌ.

وإنّما تسودُون القومَ، ويَطؤون أعقابَكم، بنازع الفضل، ولين الجَناحِ.

وخذْهُ بتعليمٍ بنسبَةِ العربِ.

حتى لا يَخفى عليه منها قليلٌ ولا كثيرٌ.

وعلِّمهُ منازِلَ القمَرِ.

وأنواع الخُطَبِ.

ومواضعَ الكلامِ، ومعرفَةَ الجَوابِ.

وإن هو احتبسَ عن تأديبِهِ ومروءَته فادخُل عليه، وإنْ كانَ مع أهلِه في لِحافٍ، حتى تَجُرَّ رِجلَهُ إلى ما يَنفَعُهُ الله ﷻ.

وإيّاكَ أن تكتُم عنه، فيُؤدِّي إليَّ ذلك غيرُك فأُنزِلك عمَّا يسُرُّك إلى ما يَضُرُّك.

ولا يَخرجَنَّ إلا مُعتَمًّا.

ولا يركبَنَّ مَحدوفًا، ولا مهلوبًا.

ولا يُعقدنَّ له ذَنَبُ دابةٍ.

ولا يَركبنَّ سَرجًا ضيِّقًا؛ فتبدو منه أليتاهُ كفعلِ الفُسَّاقِ.

ولا يشربنّ [يسيرن] مُلتفِتًا، ولا طامحًا.

خُذهُ بهذا.

وزِدهُ مِن عندِك ما استطعتَ.

فإنّي سَأقِيسُ عقلَهُ اليومَ، وبعدَ اليوم.

فإن رأيتُه قد زادَ خيرًا إلى ما كان عليهِ؛

رُؤيَ أثرُ أميرِ المؤمنين عليكَ.

وإن كانت الأُخرى؛

فلا تلُومنَّ إلا نفسك.

[«العيال» لابن أبي الدنيا (٣٤٥)]

[الغريب: قوله: (فيتمحَّك): المحك التَّمادي في اللّجَاجةِ عند المساومة والغضب ونحوه. [«العين» (٣/٦٨)]

قوله: (أدَمَهُم): أي طعامهم.

قوله: (ذِمَامَهُ): أي مذمة الناس لهم بسبب منعهم المال.

قوله: (سُوقَةٌ): السُّوقة بالضَّمِّ، خلاف المَلِكِ، وهم الرَّعية التي تسُوسها الملوك، سُمّوا سُوقَةً؛ لأن الملوك يسُوقونهم، فينساقون لهم. [«تاج العروس» (٢٥/٤٧٩)]

قوله: (مَحدوفًا): أي ما أُخِذَ ذنبه من الدواب. «الصحاح» (ص٢١٨)]

قوله: (مهلوبًا): الهُلْبُ: ما غلُظ من شَعرِ الذَّنب وغيره، وهَلبتَ الفرس، إذا نَتَفتَ هُلْبَهُ، فهو مَهلوب. [«الصحاح» (١١٠٢)]

قوله: (طامحًا): يقال: طمح ببصره إلى الشَّيء علا، وكُل مرتفع طامح. «مقاييس اللغة» فهو ينهاه أن يشرب وهو ملتفتٌ، أو رافع رأسه إلى العلو]

- وفي لفظِ:

إن أوّلَ ما آمُرُكَ بِهِ:

أن تأخذه بكتابِ الله.

وتُقرئه في كُلّ يوم عشرًا، يحفظ القُرآن حِفْظَ رَجُلٍ يُريد الكَسبَ به.

وروِّه من الشِّعرِ أحسنه،

وتخلل به في أحياءِ العربِ،

فخذ من صالحِ شِعرهم من هِجاءٍ ومدحٍ؛

فإنّه ليس من قومٍ إلا وقد هجوا ومدحوا.

وروِّه جماهير أحياء العربِ.

ثم تَخلّل به في مغازي النبي ﷺ، وحفظ من كان معه، وحُسن بلائِهم.

وبصِّره طرفًا من الحلالِ والحرامِ،

والخُطَبِ،

وما يحتاج إليه في قدرِهِ وموضعِهِ،

ثم أجلِسه للنّاسِ في كُلِّ يومٍ.

وأدخل عليه أشراف قريش، والعربِ، وعِلْيَةَ النّاسِ.

وأطيبوا لهم الطَّعامَ، وعجّلوا بالغداءِ.

فمن أحب بعد الغَداء أقام، ومن أحبَّ أن ينصرفَ فإنّ للنَّاسِ حوائجَ.

وأدخل عليه أهل الفِقهِ والدِّين.

فإنّهم إذا خرجوا من عنده فرآهم النَّاس ظنُّوا أنّه مثلهم، وإن لم يكن مثلهم.

ولا تُدخل عليه أهل الفِسقِ، والدَّعارةِ، وشُرَّاب الخَمْرِ.

فإنّهم إذا خرجوا من عِندِهِ ظُنَّ أنّه مثلهم، وإن لم يكُن مثلهم.

وإذا سمعت منه الكلمةَ الحسنة، فنبِّه القوم لها، فلعلهم لم يفطنوا لِما جاء به، وفطِنتَ له لاهتمامك بأمرِهِ؛ لأنّهم إذا خرجوا أذاعوا ذلك عنه.

وإذا سمعت منه الكلمة العَوراء فاصمت عنها، فلعل القوم لم ينتبهوا لها، فإذا خرجوا من عِنده فانقله منها إلى غيرها، وخبّره بفسادِها.

ثم انظر إليه في بدَنِه.

فمره فليستَنَّ عَرْضًا.

وليحلِق شَعرَهُ؛ تَغلُظ قصرته.

وعلّمه شِعر حاتم يسخُ ويَمجد.

ولا يجعلن ثيابه طوالًا؛

فإنّها لباس النَّوكى، ولا سيما أبناء الملوك.

ولا تحملنّه على سَرْجٍ صغيرٍ؛ فيبدو منه أليتاه، وإن ذلك فعلُ الفُسَّاقِ.

ولا تُجلسه مع حَشَمِهِ؛ فإنّهم له مفسدة.

وإيّاك والسُّوقة؛ فإنّهم أسوأ شيء آدابًا.

وخُذ خدمة باللين، وطلاقة الوجه على بابه، والبشاشة بالنَّاسِ، والتَّألّف لهم.

وإذا أعطيتم فأعطوا حملة القُرآن، وحملة العلم، وأهل الفضل؛

فإنّكم تؤجرون على تقريبهم، ويحمدكم النّاس على عطيتهم،

إلا أن يكون في سببِ نجدةٍ، أو وسيلة تكون لأحدهم تقضي ذمامه.

وابسطوا أيديكم بالفضلِ، ووجوهكم بالبشرِ؛

فإنّكم ملوك، والنَّاس سُوقة.

وإنّهم يطؤون أعقابكم بنازع الفضل، ولين الجناح.

ولا يَخرجنّ إلا مُعتمًّا.

ولا يركبن محذوفًا، ولا مهلوبا.

ولا تعقدن له ذَنَبَ دابَّةٍ إلا في لثقٍ.

ولا يسيرن مُلتفتًا، ولا طامحًا.

وإيّاك أن تكتُم عيبَهُ فيؤدّي إليّ ذلك غيرك.

فأنزل لك عمّا يسرُّك إلى ما يضرُّك.

فإن قَصَّرَ عن شيءٍ فيما أمرته به في أدَبِهِ.

أو تقاعس عنه لكزة في نفسه وقدره.

فأدخل عليه بعض أهلِهِ حتّى يَجرَّه برجلِهِ إلى مجلسِ أدبِهِ.

خذه بهذا كُلِّهِ، وزده من عندك ما استطعت.

فإني تبيّنتُ عقلَهُ اليوم وبعدَ اليومِ.

فإن رأيته ازداد خيرًا إلى ما كان عليه؛ رُئي أثرُ أميرِ المؤمنين عليك.

وإن كانت الأُخرى؛ فلا تلم إلا نفسك.

وقد أجريت لك في كُلِّ شهر ألفَ دِينارٍ.

[«تاريخ دمشق» (٣٣١/٢٢)، «محاضرات الأدباء» للأصفهاني (١٠٧/١)]

[الغريب: قوله: (تَغلُظ قصرته): أي أصل العُنق. « تاج العروس» (١٣ ٤٢٨)].

قوله: (فإنّها لباس النَّوكى):النوك: بالضَّمِّ، والفتح: الحُمق. والأنوك: الأحمق، وجمعه النَّوكى.

قوله: (حَشَمِهِ) حشم الرجل خدمه. «الصحاح» (ص٢٣٨).

قوله: (ولا تعقدن له ذنب دابة إلا في لثقٍ): اللام والثاء والقاف كلمة تدل على ترطيب الماء والمطر الشيء، من ذلك اللثق، وقد ألثقه المطر إذا بله.

[«مقاييس اللغة» (٢٣٤/٥)]



وَصِيَّة العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (١٨٦هـ)

٢٩٥ قال العباس بن محمد (١٨٦هـ) لِمُؤدّب بَنِيهِ:

يا فُلُ، إنّك قد كُفِيتَ أعراضَهم، فاكفِنِي آدابَهم.

علّمهم كتابَ اللَّهِ، فإنّه عليهم نَزَلَ، ومن عندهم فَصَل.

وإنّه كفى بالمرءِ جهلًا أن يَجهل فضلًا عنه أخذ.

وفقِّهْهُم في الحلالِ والحرامِ؛

فإنّه حابسٌ أن يظلِموا.

وغَذِّهم بالحكمةِ؛

فإنّها ربيعُ القُلوبِ.

والتَمِسْني عند آثارك فيهم تَجدني.

[تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٩٧)]





وَصِيّة هارون بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الله (١٩٣هـ)

٢٩٦ وصّى هارون العباسي (١٩٣هـ) مؤدِّبَ ولدِهِ محمد فقال:

إن أمير المؤمنين قد دفعَ إليك مُهجةَ نفسِهِ، وثمرةَ قلبِهِ.

فصيّر يدك عليه مبسوطةً، وطاعته لك واجبة.

فكن له بحيثُ وضعك أمير المؤمنين.

أقرئه القُرآن.

وعَرِّفْهُ الأخبارَ.

وَرَوِّه الأشعارَ.

وعَلِّمهُ السُّنَنَ.

وبَصِّره بمواقع الكلامِ وبدئه.

وامنعه من الضَّحكِ إلا في أوقاته.

وخذه بتعظيم مشايخ بَنِي هاشم إذا دخلوا عليه.

ورفع مجالس القوّاد إذا حضروا مجلسه.

ولا تَمُرنَّ بك ساعة إلا وأنت مُغتنمٌ فائدة تُفيده إيّاها من غيرِ أن تُحزنه فتُميتَ ذهنه.

ولا تُمعِنْ في مُسامَحَتِهِ فيستحلي الفراغَ ويألفهُ.

وقوِّمه ما استطعت بالقُربِ والمُلاينة.

فإنْ أباهما؛

فعليك بالشِّدَّةِ والغِلظةِ.

[«جمهرة خطب العرب» (٣/٨٥)]

[الغريب: (لا تمعن) المعن: السهل اليسير. «لسان العرب» (١٣/٤٠٩)].

٢٩٧ ضرب أبو مريم ـ مُؤدِّبُ الأمين والمأمون ـ الأمين بِعُودٍ فخَدَشَ ذِراعَه.

فدعاه هارون إلى الطَّعام.

فتعمّدَ أن حَسَرَ عن ذِراعِهِ فرآه هارون، فسأله.

فقال: ضربني أبو مريم، فبعث إليه ودعاه.

قال: فخفتُ، فلما حضرتُ.

قال: يا غُلام وضئه.

فسكنتُ، وجلستُ آكُلُ.

فقال: ما بال محمدٍ يشكوك؟

فقلت: قد غلبني خُبثًا، وعَرامةً.

قال: اقتله.

فلأن يموتَ، خيرٌ من أن يموقَ.

[«محاضرات الأدباء» (١/١٠٧)]

[قوله (اقتله): أي اشدد في ضربه ولو كاد أن يهلك.

قوله: (العرامة): الشَّراسة. «الصحاح» (ص٦٩٨).

قوله: (والموق): حُمق في غباوة. «الصحاح» (ص١٠٠٩)]

٢٩٨ وأوصى الكسائيَّ (١٩٨هـ) بالأمينِ والمأمون، فكانَ مِن جملةِ وصيتِهِ:

وروِّهِما من الشِّعرِ؛ فإنّهُ أَوفَى أدب يحُضُّ على معالي الرُّتَب.

[«نضرة الأغريض في نصرة القريض»]





وَصِيّة
محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ

٢٩٩ عن كثير قال: أُدخل الشَّافعيّ (٢٠٤هـ) يومًا إلى بعض حُجرِ هارون ليستأذنَ على أميرِ المؤمنين ومعه سراج الخادم.

فأقعده عند أبي عبد الصَّمد مؤدِّب أولاد هارون.

فقال سِراجٌ للشَّافعيّ: يا أبا عبد الله، هؤلاء أولادُ أمير المؤمنين، وهو مُؤدِّبهم.

فلو أوصيتَه بهم.

فأقبل الشَّافعي على أبي عبد الصَّمد فقال له:

ليكن أوّلَ ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاح نفسك؛

فإن أعينَهم معقُودةٌ بعينك.

فالحسنُ عندهم ما تستحسنه.

والقبيحُ عندهم ما تركته.

علّمهم كتاب الله.

ولا تُكرهْهم عليه فيملّوه، ولا تتركهم منه فيهجُروه.

ثم روِّهم من الشِّعرِ أعفّه.

ومن الحديث أشرفَه.

ولا تخرجنهم من علمٍ إلى غيرِهِ حتى يُحكموه.

فإن ازدحام الكلام في السَّمعِ مَضلة للفَهم.

[«حلية الأولياء» (١٤٧/٩)، و«تاريخ بغداد» (١٨٧/٣)، وقد سبق نحوها في وَصِيَّة عُتبة بن أبي سُفيان (٢٧٧هـ)]

قلت: فهذه بعض وصايا الأمراء والآباء لمربي أبنائهم وهي كما ترى وصايا نافعة جامعة للعلم والأدب.

وقد قمت ـ بحمد الله ـ بشرحها، والتعليق على ألفاظها في بحث مستقل ألحقته بكتاب «الجامع في كتب المعلمين».

